الرسول القدوة (ص).. والمبشرات

◄لقد جاءنا الرسول (ص) بالنور المبين، والهدي المستقيم، والدين القويم، الذي جمع القبائل المتفرقة، وجعل منهم أمةً واحدةً، وإخوةً متحابّين، حملوا لواء الحقّ، ومشعل الهداية، فاستطاعوا في ربع قرن أن ينشروا الرحمة، ويُقيموا العدل، ويحقّقوا الأمن لكلّ من أظلّتهم راية الإسلام، وإن اختلفت عقائدهم، أو تنوّعت أجناسهم، أو تعدّدت طبقاتهم فالجميع في ظل الإسلام سواء.

لقد أقام رسول الله (ص) دولةً علّمت الإنسانية لأوّل مرة مبادئ الحرية والإخاء، وألقت عليها دروس المساواة والعدل والرحمة، وعلّم به الناس كيف يحيَون سعداء، وكيف يموتون سعداء، وما لنا لا نرفع الرؤوس بين العالمين فخاراً ونقول: إنّ محمداً علّمنا الحرية فلن نستكين، وإنّ محمداً علّمنا العزة فلن نُستعبد بعد اليوم.

واعلموا أيها الإخوان أنّ المسلم الحر يأبى الضيم، ويرفض الذل، وأنّه حين يهتف: "الله أكبر"، لا يرضى لغير ربه أن يكون مستعلياً عليه، ولا لغير دينه فوقه سلطاناً واستعلاءً، ولن يصلح حال أمتنا الإسلامية إلا بما صلح به أوّلها، وإنّ المسلمين اليوم في حاجة شديدة إلى أن يذكروا محمداً رسول

ا، الذي احتمل الآلام، وصابر المشتّقات في سبيل بناء الإسلام، وإقامة صرحه الشامخ، وإن اقتداءهم بالنبي (ص) في ذلك يقضي على اليأس الذي ملأ النفوس، والفساد المستشري في مجتمعاتهم، والظلم الذي عمّ الأرجاء.

- أيها المسلمون في كلّ مكان..

لقد كان الرسول (ص) يمثّل الحقيقة الكاملة في طفولته، وفي شبابه، وفي كهولته، كما كان المثل الأعلى والأكمل في الطموح، وفي العفة، وفي الصبر، وفي الأمانة، وفي الصدق، وفي الجدّ، وفي المزاح، كما كان الشخصية المتكاملة في حياته الخاصة والعامة، وفي عبادته، وفي أسرته، ومع أولاده، وفي فقره، وفي غناه، وفي فرحه، وفي حزنه، وفي غضبه، وفي رضاه، وفي علمه، وفي اجتهاده، وفي حربه، وفي سلمه.

والمسلم الصادق الإيمان، الراجي الأجر من الرحمن، الطامع في أعلى الجنان؛ لا سبيل له إلى ذلك إلا بالتأسي برسول ا (ص) تحقيقاً لقول ا تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب/ 21).

- عودة نور الإسلام

ومن التأسي بالرسول (ص) أن تجاهد في سبيل إعادة هدية (ص) للحياة، كما تعمل على عودة نور الإسلام إلى الدنيا التي أُظلمت بالفساد والبغي والظلم، ومن رحمة ا بنا أنه تكفّل لحملة هذا الدين بأمرين:

- حفظ الذكر مكتوباً، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر/ 9)، والحفظ يشمل القرآن الكريم والسنة والنبوية المطهرة؛ لأنها المبينة للذكر. (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل/ 44).

- حفظ الذكر عملاً، فما خلت القرون من أمة قائمة بالحقّ وعلى الحقّ وعد ا بنصرها، قال ذلك رسول ا (ص).. فَعَنْ ثَوْبَانَ قال: قال رسول ا (ص): "لاَ تَزَالُ طائِفَةٌ منْ أُمَّتي ظاهرين

على الحقّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حتى يأتي أمرُ ا وهُمْ كذلك" (مسلم).

- المبشرات بالنصر والتمكين

وفي وسط الشدة، وفي أحلك الساعات، كان الرسول (ص) يبدّد اليأس الذي قد يتسرّب إلى النفوس، ويبعث بالأمل في نفوس أصحابه؛ ثقةً في وعد ا.. عَنْ خَبّاب بْنِ الأَرَتّ قال: شَكَوْنَا إلى رسول ا (ص) وهْوَ مُتَوَسّدٌ بُرْدَةً له في ظِلّ الكعبَة، قُلنا له: أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا؟! ألا تَدْعُو ا لَنَا؟! قال: "كَانَ الرّجُلُ فيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض، فَيُجْعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَار، فَيُوضَعُ على رأسه فَيُشَقّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدّهُ ذلك عَنْ دينه، ويُمْشَطُ بِأَمْشَاطَ الحديد، ما دون لحْمِهَ مِنْ عَظْم أو عَصَبَ، وَمَا يَصُدّهُ ذلك عَنْ دينه، وا لَيُتمّنّ هذا الأمر حتى يَسيرَ الرّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلا ا والذّئْبَ على غَنَمِهِ، ولَكِنّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" (البخاري).

وفي الهجرة وهو مطارد والطلب من خلفه؛ يَعُد "سُراقة" بسوارَي كسرى، وفي غزوة الأحزاب بلغت القلوب الحناجر، وزُلزلوا زلزالاً شديداً، وبينما هم يحفرون الخندق تعترض الصحابة كُدية لا يقدرون عليها فَأَخَذَ الرسول (ص) المعْوَلَ فَضَربَ به ضَرْبَةً لَمَعَتْ تحت المعول بُرْقَةٌ، ثم ضرب به ضَرْبَةً أخرى فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ برقةٌ أخرى، وكذلك الضربة الثالثة.. فقال سلمان الفارسي: بأبي أنْتَ وأُمّي يا رسول ا، ما هذا الّذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضْربُ؟ قال: "أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟". قال: قُلْت: نعم: قال: "أمّا الأوّلى فإنّ ا فتح عليّ بها اليمن؛ وأمّأ الثانية فإنّ ا فتح عليّ بها الشّام والمغرب، وأمّا الثّالثة فإنّ ا فتح عليّ بها المشرق".

وتأسياً برسول ا (ص) نسوق المبشّرات التي وعدنا بها ربنا، وأخبرنا بها نبينا (ص)، والتي منها:

أ) المبشرات من القرآن الكريم:

- أنّ ا وعدنا بإتمام نوره وإظهار دينه.. (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (الصف/ 9-8)، فهذا وعدٌ من ا تعالى بظهور دين الحقّ الإسلام على الدين كلّه؛ أيّ

على الأديان كلّها، وكان وعد الله حقّاً، فلن يُخلف الله وعده، وما زلنا ننتظر تحقيق هذا الوعد: غلبة دين الإسلام وظهوره على جميع الأديان، سماوية أو وضعية.

- وَعْدُ الله بالاستخلاف والتمكين والأمن للمؤمنين.. (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور/ 55)؛ فهو سبحانه كما وعد بالأمن نبّه إلى أنّ قبله خوفاً، فإذا وجدتموه فلا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا.

- وَعْد الله بالنصر والنجاة والدفاع عن المؤمنين..(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم/ 47)، (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس/ 103)، (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج/ 39-38).

- ويتأكد النصر حين تمسهم البأساء والضراء.. (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة/ 214)، فإذا وصل البأس أقصى مداه، وأطلّ اليأس؛ كان الفتح والنصر.. (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف/ 110).

- وَعْد الله بإحباط عمل من يصدّون عن سبيل الله، وإن مما يطمئن المسلم ويبشّره أمام تسخير قوى الباطل وأموالهم للصدّ عن سبيل الله أنّ الله وعد بأنّهم لن يرجعوا إلا بالخيبة والحسرة والهزيمة مع ما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة.. (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال/ 36).

ب) المبشرات من السنة النبوية:

- إخبار الرسول (ص) بانتشار الإسلام في العالم كلّه.. عن تميم الدّاريّ قال: سمعتُ رسول ا (ص) يقول: "لَيَبْلُغَنّ هذا الأمر ما بلغ اللّيلُ، ولا يترك ا بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلاّ أدخلهُ ا هذا الدّين، بعزّ عزيز يُعزّ به الإسلام، أو ذُلّ ذَليلٍ يُذلّ به الكُفْرَ"، وعن ثوبان قال: قال رسول ا (ص): "إنّ ا زوى لي الأرض فَرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمّتي سبيلغ مُلْكُها ما زوي لي منها" (مسلم).

- ظهور المجدّدين في كلّ قرن.. عن أبي هُرَيْرَةَ (رض) عن رسول ا (ص) قال: "إنّ ا يُبْعَثُ لهذه الأمّة على رأس كُلّ مائة سنةٍ منْ يُجَدّدُ لها دينها" (أبو داود).

- عودة الخلافة على منهاج النبوة.. عن حُذَيْفَةُ (رض) قال: قال رسول ا (ص): "تكون النبوّةُ فيكم ما شاء ا أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون خلافةٌ على منهاج النبوّة، فتكون ما شاء ا أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء ا أن يكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون مُلكاً جبريّةً، فيكون ما شاء ا أن يكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون خلافةٌ على منهاج نُبُوّةٍ" (أحمد).

- الانتصار على اليهود.. عن عبد ا بن عمر أنّ رسول ا (ص) قال: "تقاتلكم اليهود فَتُسَلّطُونَ عليهم حتّى يقول الحجر: يا مسلم هذا يَهوديٌّ ورائي فاقتُلْهُ" (متفق عليه).

- بقاء الطائفة المنصورة.. عن ثوبان قال: قال رسول ا (ص): "لا تزال طائفةٌ من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضُرّهُم من خَذَلَهم حتى يأتي أمر ا وهم كذلك" (مسلم)، وفي رواية: قالوا: يا رسول ا وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" (أحمد).

- التاريخ شاهد صدق

يا أمة الإسلام.. إنّ نهضات الأمم جيمعاً إنما بدأت على حالٍ من الضعف، يُخيّل للناظر إليها أنّ وصولها إلى ما تبتغي ضربٌ من المحال، ومع هذا الخيال فقد حدّثَنا التاريخ أنّ الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة، القليلة الوسائل، إلى ذروة ما يرجوه القائمون بها، من توفيق ونجاح.

ومن ذا الذي كان يصدّ ِق أنّ الجزيرة العربية – وهي تلك الصحراء الجافة المجدبة – تبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحي والسياسي على أعظم دول العالم؟!►